إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الـدَّارُ الآخِـرَةُ

(8)

حُسْنُ الخَاتمَةَ

عَلَامَاتٌ وَأَسْبَاب

للشيخ / ندا أبو أحمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة إلى الدار الآخرة

حسن الخاتمة

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخيرَ الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

تكلمنا في رسالة سابقة عن علامات وأسباب سوء الخاتمة، وها قد آن لنا أن نتكلم عن علامات وأسباب حسن الخاتمة، ونختم بها تفاؤلاً، لعل الله أن يَختم لنا بخاتمة السعادة، وأن يرزقنا الجنَّة والزِّيادة.

أولاً: معنى حُسن الخاتمة

وهو أن يوفَّق العبدُ قبل موته إلى الإقلاع عمَّا يُغضب اللهَ - عز وجل - والتَّوبة والنَّدم من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطَّاعات وأعمال الخير، والاستقامة عليه حتى يأتيه الموت وهو على هذا الحال.

- ويدل على هذا المعنى ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الثابت في "مسند الإمام أحمد" وفي "سنن الترمذي" عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمَلَه، قيل: كيف يَستعملهُ؟ قال: يُوفِّقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت، ثم يَقبضُه عليه))؛ (صحيح الجامع: 305).

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد أيضًا والطبراني في "الكبير" عن أبي عِنَبة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا عَسَلَهُ، قيل: وما عَسَلهُ؟ قال: يَفتح له عملاً صالحًا قبل مَوته، ثم يَقبضهُ عليه))؛ (صحيح الجامع: 307).

وأخرج الطبراني في "الكبير" عن أبي أُمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا طهَّره قبل موته، قالوا: وما طُهورُ العبد؟ قال: عملٌ صالح يُلهمهُ إياهُ؛ حتى يَقبضَه عليه))؛ (صحيح الجامع: 306).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيًا: علامات حُسن الخاتمة

لحُسن الخاتمة علاماتٌ منها:

أ- ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره:

وهو ما يُبشَّر به عند احتضاره، من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضُّلاً منه تعالى، كما قال - سبحانه وتعالى - : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30].

وممَّا يدل على هذا أيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن أحبَّ لقاءَ الله، أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرِه لقاءَ الله، كرِه اللهُ لقاءَه))، فقلتُ: يا نبي الله، أكراهيةُ الموت؟ فكلنا نكره الموتَ، فقال: ((ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحبَّ لقاء الله، وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره اللهُ لقاءه)).

قال الإمام النووي - رحمه الله -:

"معنى الحديث: أن المحبَّة والكراهية التي تُعتبر شرعًا، هي التي تقع عند النَّزع في الحالة التي لا تُقبل فيها التوبةُ، حيث ينكشفُ الحال للمُحتضَر، ويظهر له ما هو صائر إليه"؛ اهـ.

ب- وأما علامات حسن الخاتمة والتي تظهر للناس، فمنها:

ما ذكرها الشيخ الألباني - رحمه الله - في كتابه "أحكام الجنائز" حيث قال:

"إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بيِّنات يُستدل بها على حسن الخاتمة، كتبها الله تعالى لنا بفضله ومنِّه، فأيما امرئ مات بإحداها، كانت له بشارة، ويا لها من بشارة!".

1- نطقُه بالشهادة عند الموت:

فقد أخرج أبو داود من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنَّة))؛ (حسنه الألباني في الإرواء: 686).

وأخرج الإمام أحمد بسنده: "أن عمر رأى طلحةَ بن عُبيدالله ثقيلاً، فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمِّك يا أبا فلان؟ قال: لا، (وأثنى على أبي بكر) إلا أني سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثًا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: ((إني لأعلم كلمةً لا يقولها عبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونُه، ونفَّس الله عنه كُربتَه))، فقال عمر - رضي الله عنه -: إني لأعلم ما هي، قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمَّه عند الموت: لا إله إلا الله؟! قال طلحة: صدقتَ، هي والله هي"؛ (صححه الشيخ أحمد شاكر).

تنبيه:

يستحب لِمَن حضر المحتضَر أن يلقنه: "لا إله إلا الله"؛ وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله)).

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمراد: ذكِّروا مَن حضره الموت: "لا إله إلا الله" فتكون آخر كلامه.

وقد أخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، فمَن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله عند الموت، دخل الجَنَّة)).

يقول أنس بن سيرين: "شهدت أنس بن مالك - رضي الله عنه - وقد حضره الموت، فجعل يقول: "لقِّنُوني: لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى قُبِض رحمه الله"؛ (الثبات عند الممات: 133).

2- الموت برَشْح الجَبين:

أخرج الإمام أحمد وحسَّنه الحاكم ووافقه الذهبي من حديث بُريدة بن الحُصيب - رضي الله عنه -: "أنه كان بخُراسان، فعاد أخًا له وهو مريض، فوجده بالموت، وإذا هو يَعرق جبينه، فقال: الله أكبر، سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((موتُ المؤمنِ بعَرقِ الجبين))".

وفي كتاب "الثبات حتى الممات" لابن الجوزي: لما احتضر أبو بكر بن حبيب - وكان يدرس ويعظ وكان نِعْمَ المؤدِّب - قال له أصحابه لما احتضر: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله - عز وجل - ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيتُ الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر هل ترى جَبيني يعرَقُ؟ فقال: نعم، فقال: الحمدُ لله، هذه علامة المؤمن - يُريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم -: ((الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ))، ثم بسط يده عند الموت، وقال:

هَا قدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرُدَّهَا = بِالْفَضْلِ لاَ بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ

(رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد).

3- الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما مِن مُسلم يَموت يومَ الجُمُعة أو ليلةَ الجمعة، إلا وقاه اللهُ فِتنةَ القَبر))؛ (صحيح الجامع: 5773).

4- الاستشهاد في ساحة القتال:

قال - تعالى -: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 169 - 171].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن المِقدام بن معدي كرب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((للشَّهيد عند الله سبعُ خِصال: يُغفَر له في أوَّل دفعةٍ مِن دَمِه، ويَرى مَقعدَه من الجَنَّة، ويُحلَّى حُلَّةَ الإيمان، ويُزوَّجَ اثنين وسبعين زوجةً من الحُور العين، ويُجار من عذاب القَبر، ويأمنُ من الفزَع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاجُ الوقار؛ الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُشفَّعُ في سبعين إنسانًا من أهل بيته))؛ (صحيح الجامع: 5182).

وعند الطبراني في "الكبير": "أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بالُ المؤمنين يُفْتَنُون في قبورهم إلا الشَّهيد؟ قال: ((كفى ببارِقَة السُّيوف على رأسه فِتنَة))"؛ (صحيح الجامع: 4483).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تنبيه:

تُرجَى هذه الشَّهادة لِمَن سألها مُخلصًا من قلبه، و لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة، ودليل ذلك:

ما جاء في "صحيح مسلم" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن سأل اللهَ الشَّهادةَ بصِدق، بلَّغه اللهُ منازِلَ الشُّهداء وإنْ مات على فِراشه)).

وأخرج الترمذي من حديث معاذ - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن سأل اللهَ القتلَ في سبيل الله صادقًا من قلبِه، أعطاه الله أجرَ شهيدٍ وإن مات على فراشه))؛ (صحيح الجامع: 6277).

وفي "صحيح مسلم" عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن طلب الشَّهادةَ صادقًا أُعطِيَها ولو لم تُصِبه)).

5- الموت غازيًا في سبيل الله:

فقد أخرج الإمام مُسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما تعدُّون الشَّهيدَ فيكم؟)) قالوا: يا رسول الله، مَن قُتِل في سبيل الله فهو شهيد، قال: ((إن شُهداء أُمتي إذًا لقليلٌ))، قالوا: فمَن هم يا رسول الله؟ قال: ((مَن قُتِل في سبيل الله فهو شهيدٌ، ومَن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومَن مات في الطاعون فهو شَهيد، ومَن مات بالبَطْن فهو شهيد، والغَريق شَهيد)).

وفي رواية لأبي داود من حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن فَصل - أي خرج - في سبيل الله، فمات أو قُتِل، فهو شهيد، أو وَقَصه فرسه أو بعيرُه، أو لدغته هامةٌ، أو مات على فراشه، أو بأي حَتف شاء الله، فإنه شهيدٌ، وإن له الجَنَّة))؛ (صحيح الجامع: 6413).

6- مَن صُرِع عن دابته في سبيل الله، أو وقصه بعيره، أو لدغته هامة:

كما مرَّ بنا في الحديث السابق، ويدل على هذا أيضًا ما أخرجه الطبراني في "الكبير" عن عُقبة بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن صُرِع عن دابته، فهو شهيد))؛ (صحيح الجامع: 6336).

قال المناوي - رحمه الله - في "فتح القدير"(163/6):

"ومَن صُرِع عن دابَّته في سبيل الله، فمات، فهو شهيد"؛ أي: من شهداء المعركة إن كان سقوطه بسبب القتال. والصرع معروف: وهو الطَّرح على الأرض، والمراد بالحديث: السُّقوط عن الدابَّة حال قتال الكفَّار؛ بسبب أي وجه كان، إما بطرح الدابَّة له، أو بعُروض تلك العلَّة في تلك الحالة عُروضًا ناشئًا عن القتال، كأنْ أورثه شدة الانفعال؛ اهـــ باختصار.

7- المرابط في سبيل الله:

أخرج "الإمام مسلم" من حديث سلمان الفارسي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لَرباطُ يوم وليلةٍ خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يَعمله، وأُجْري عليه رُزقه[1] وأمِن الفتَّان)).

(1) أجري عليه رزقه: يعني أجر عمله الذي كان يعمل في حياته من الطاعات.

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي "سنن أبي داود" و"الترمذي" من حديث فضالة بن عُبيد - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كلُّ ميِّت يُختم على عَمله إلا الذي مات مُرابطًا في سبيل الله، فإنه يُنمَّى له عملُه إلى يوم القيامة، ويأمن فِتنة القبر))؛ (صحيح الجامع: 4562).

وأخرج ابن حبَّان عن سلمان - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((مَن مات مرابطًا في سبيل الله أُومِنَ عذابَ القَبر، ونما له أجره إلى يوم القيامة)).

وفي رواية عند ابن حبَّان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن مات مُرابطًا مات شهيدًا)).

8- مَن قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فقتله:

ودليلُ ذلك ما أخرجه الحاكم والضياء عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((سيِّدُ الشُّهداءِ حمزةُ بنُ عبدالمطلب، ورجلٌ قامَ إلى إمامٍ جائر، فأمره ونهاه، فقتله))؛ (صحيح الجامع: 3675).

9- الدعوة إلى السُّنة في وقت الفتن، والموت على ذلك:

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إنَّ مِن ورائِكم زمانَ صبرٍ، للمُتمسِّك فيه أَجرُ خمسين شهيدًا منكم))؛ (صحيح الجامع: 2234).

وفي رواية أخرى عن عُتبة بن غزوان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن من ورائكم أيامَ الصَّبر، للمُتمسِّك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجرُ خمسين منكم))، قالوا: يا نبي الله، أو منهم؟ قال: ((بل منكم))؛ (السلسلة الصحيحة: 268/1، رقم 494).

10- المائدُ في البحر والغريق:

والمائدُ: هو الذي يموت بسبب دوَّار البحر، فله أجر شهيد.

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أم حَرام - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((للمائد[1] أجرُ شهيد[2]، وللغريق أجر شهيدين))؛ (صحيح الجامع: 5187).

وفي رواية عن أبي داود: عن أم حرام - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((المائدُ في البحر الذي يُصيبه القَيء له أجرُ شهيد، والغريق له أجر شهيدين))؛ (صحيح الجامع: 6642).

وأخرج ابن عساكر في "تاريخه" عن عليِّ بنِ أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الغريق شهيد، والحريق شهيدٌ، والمبطون شهيد، ومَن يَقع عليه البيتُ فهو شهيد، ومَن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومَن قُتِلَ دون نفسه فهو شهيد))؛ (صحيح الجامع: 4172).

---

(1) قال المناوي - رحمه الله - في "فيض القدير": المائد: أي: الذي يلحقه دوران رأسه من ريح البحر، واضطراب السفينة، وهو من مَادَ يميد، إذا دار رأسه.

(2) أجر شهيد: قال المظهر: هذا إن ركبه لنحو طاعة: كغزو، وحجٍّ، وطلب علم، وكذا التجارة، ولا طريق له غيره، وقصد طلب القوت لا زيادة ماله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخرج البخاري في "التاريخ" عن عُقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الغريق في سبيل الله شهيد))؛ (صحيح الجامع: 4173).

11- الشَّرِيق:

قال ابن الأثير في "النهاية": "والشريق: هو الذي يَشرق بالماء فيموت".

قال ابن حجر في "الفتح" (52/6): وللطبراني من حديث ابن عباس مرفوعًا: ((المرءُ يموت على فِراشه في سبيل الله شهيدٌ))، وقال ذلك أيضًا في: "المبطون، واللديغ، والغريق، والشَّريق، والذي يَفترسه السَّبُع، والخارّ عن دابَّته، وصاحب الهَدم، وذات الجنب".

12- مَن افترسه السَّبعُ:

روى ابن قانع عن ربيع الأنصاري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((الطَّعن والطاعون، والهدمُ، وأكل السَّبعِ، والغرقُ، والحرقُ، والبطن، وذاتُ الجنب شهادةٌ))(1)؛ (صحيح الجامع: 3953).

13- الهدم:

أخرج البخاري ومسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الشهداء خمسة: المطعونُ، والمبطونُ، والغَرِق، وصاحب الهدم، والشهيدُ في سبيل الله)).

14- مَن تَردَّى من رُؤوس الجبال:

أخرج عبدالرزاق عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: "إن مَن يتردَّى من رؤوس الجبال، وتأكله السباع، ويغرق في البحر، لشهيد عند الله"؛ (قال الحافظ في "الفتح" (52/6): إسناده صحيح).

15- الموت بالطاعون:

أخرج البخاري عن حَفصة بنت سيرين - رحمها الله - قالت: قال لي أنس بن مالك - رضي الله عنه -: "بم مات يحيى بن أبي عمرة؟ قالت: بالطاعون، فقال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الطاعون شهادة لكل مسلم))".

وعند البخاري أيضًا من حديث عائشة - رضي الله عنها -: "أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الطاعون؟ فأخبرها نبي الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أنه كان عذابًا يبعثه الله على مَن يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا، يعلم أنه لن يُصيبَه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد))".

أخرج الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((الطاعون غُدَّة كغدَّة البَعير، المقيمُ بها كالشهيد، والفارُّ منها كالفارِّ من الزَّحف))؛ (صحيح الجامع: 3948).

---

(1) قال الألباني - رحمه الله -: أورده المنذري في "الترغيب والترهيب"، والهيثمي من رواية الطبراني دون قوله: "أكل السبع"، وجعل مكانه "النفساء بجمع شهادة"، وفقرة "السبع" لم أجد لها شاهدًا إلا من قول ابن مسعود موقوف عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأسند الإمام أحمد عن صفوان بن أميَّة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الطاعون، والغرق، والبطن، والحرق، والنُّفساء؛ شهادةٌ لأُمَّتي))؛ (صحيح الجامع: 3950).

وفي "مستدرك الحاكم" عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الطاعون وخزُ أعدائكم من الجنِّ، وهو لكم شهادةٌ))؛ (صحيح الجامع: 3951).

وفي "مسند الإمام أحمد" عن جابر - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((الفارُّ من الطاعون كالفارِّ من الزحف، ومَن صبر فيه كان له أجر شهيد)).

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((يأتي الشُّهداء والمتوفَّون بالطاعون، فيقول أصحاب الطَّاعون: نَحن شُهداء، فيقالُ: انظروا؛ فإن كانت جراحهم كجرح الشُّهداء تسيل دمًا كريح المِسك، فهم شهداء، فيجدونهم كذلك))؛ (حسنه الحافظ في الفتح: 205/10).

16- الموت بداء البطن:

والمبطون: هو صاحب داء البطن وهو "الإسهال"، وقال القاضي عِياض: هو الذي به الاستسقاء، وانتفاخ البطن، وقيل: هو الذي يموت بِداء بطن مُطلق، فهذا شهيد ويُرجَى له الجَنَّة.

ففي "صحيح مسلم" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ومن مات في البطن فهو شهيد...)) الحديث.

وعند النَّسائي بسند صحيح عن عبدالله بن يسار قال: "كنت جالسًا وسُليمان بن صُرد وخالد بن عُرفطة؛ فذكروا أن رجلاً تُوفِّي، مات ببطنه، فإذا هما يَشتهيان أن يكونا شهداء جنازته، فقال أحدهم للآخر: ألم يقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ومَن يقتله بطنُه، فلن يُعذب في قبره))؟ فقال الآخر: بلى، وفي رواية: صدقت".

17- الموت بِداء السُّل:

ودليل ذلك ما أخرجه الطبراني في "الكبير" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((القتلُ في سبيل الله شهادةٌ، والنُّفساء شهادَة، والحَرق شهادة، والغَرق شهادة، والسُّل شهادة، والبطن شهادة)).

18- المرأة تموت في نفاسها بسبب وَلدها:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عُبادة بن الصامت - رضي الله عنه -: ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد عبدَالله بنَ رواحة، قال: فما تحوَّز له[1] عن فراشه، فقال: أتدري مَن شهداء أُمَّتي؟ قالوا: قتل المسلم شهادة، قال: إن شهداء أُمَّتي إذًا لقليل، قَتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يَقتلها وَلدُها جَمْعاءَ[2] شَهادةٌ، يجرُّها ولدُها بسُرَرِه[3] إلى الجَنَّة)).

(1) فما تحوز: يعني: فما تنحى.

(2) جمعاء: وهي التي ماتت في شيء مجموع فيها غير منفصل عنها: من حمل أو بكارة، والمراد هنا: الحمل قطعًا بدلالة الحديث: "يقتلها ولدها".

(3) بسرره: يعني: بحبل المشيمة الذي يُقْطَع منه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي "مسند الإمام أحمد" عن راشد بن حبيش - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "القتلُ في سبيل الله شهادةٌ، والطاعون شَهادة، والغَرَق شهادة، والبطن شهادة، والحَرْق شهادة، والسُّلُّ، والنُّفساء يجرها ولدها بسُرَرِها إلى الجنَّة)).

19- الموت بالحَرق وذات الجنب:

فقد أخرج الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث جابر بن عتيك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الشهداء سبعةٌ سِوى القَتل في سبيل الله: المَطعون شَهيد، والغَرق شهيد، وصاحب ذات الجَنْب(1) شهيد، والمبطون شهيد، والحَرق شهيد، والذي يموت تحت الهَدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع (2) شهيدة)).

20- مَن دعا بدعاء يُونس - عليه السلام - أربعين مرَّة في مرضه:

فقد أخرج الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن سعد بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((هل أدلُّكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، الدَّعوة التي دعا بها يُونس حيث ناداه في الظُّلمات الثّلاث: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87]))، فقال رجل: يا رسولَ الله، هل كانت ليونُس أَمْ للمؤمنين عامَّة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ألا تسمع قول الله - عز وجل -: {وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء: 88]؟))، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أيما مُسلمٍ دعا بها في مَرضِه أربعين مرَّةً فمات في مَرضه ذلك، أُعْطي أجرَ شهيد، وإن بَرأ، برأ وقد غُفِر له جميعُ ذُنوبه)).

21- الموت في سبيل الدِّفاع عن الدِّين أو النَّفس أو الأهل:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي بسند صحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن قُتِل دون ماله فهو شهيدٌ، ومَن قُتِل دون أهلِه فهو شَهيد، ومَن قُتِل دون دِينه فهو شهيدٌ، ومَن قُتِل دون دَمِه فهو شهيد)).

وفي رواية عند النسائي وأحمد: ((من قُتِل دون مَظلمته فهو شهيد))؛ (صححه أحمد شاكر رحمه الله).

22- الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غَصبُه:

أخرج البخاري بسنده أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن قُتِل دون ماله - وفي رواية: مَن أُريد مالُه بغير حقٍّ - فقاتل فقُتِل، فهو شَهيد)).

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أرأيتَ إن جاء رجل يُريد أخذَ مالي؟ قال: ((فلا تُعطه مالَك))، قال: أرأيتَ إن قاتلني، قال: ((قاتله))، قال: أرأيتَ إن قتلني، قال: ((فأنت شَهيدٌ))، قال: أرأيتَ إن قتلتُهُ؟ قال: ((فهو في النَّار)).

وعند الإمام أحمد والنَّسائي بسند صَحيح عن مُخارق - رضي الله عنه - قال: "جاء رجلٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: الرَّجل يأتيني يُريد مالي؟ قال: ((ذكِّره بالله))، قال: فإن لم يَذَّكَّر؟ قال: ((فاستْعِن عليه مَن حَولك من

(1) والمريض بذات الجنب يسمَّى: المجنوب، وهو التهاب غلاف الرئة، أو هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

(2) تموت بجُمْع: (بضم الجيم وكسرها) أي: تموت وفي بطنها ولد، وقيل: التي تموت بكرًا، ولكن الأول أظهر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمين))، قال: فإن لم يكن حولي أحدٌ من المسلمين؟ قال: ((فاستعن عليه السُّلطان))، قال: فإن نأى السلطان وعَجل عليَّ؟ قال: قاتل دون مالِك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تَمنعَ مالَك))؛ أي: تحميَ مالك"؛ (قال الألباني: سنده صحيح).

23- مَن قَتل الخوارجَ أو قتلَتْهُ الخوارجُ:

أخرج الطبراني في "الأوسط" بسند جيِّد عن الفَرزدق الشاعر: "أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد وسألهما، فقال: إني رجل من أهل المشرق، وإن قومًا يَخرجون علينا يقتلون مَن قال: لا إله إلا الله، ويُؤمِّنون مَن سواهم، فقالا لي: سمعنا النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((مَن قتلهم فله أجر شهيد، ومَن قتلوه فله أجر شهيد))".

تنبيه: على حال مَن مات بأحد المَوتات السَّابقة:

قال ابن التِّين - رحمه الله -: "هذه كلها مِيتات فيها شِدَّة، تَفضَّل الله على أُمَّة محمَّد - صلى الله عليه وسلم - بأن جعلها تمحيصًا لذنوبهم، وزيادةً في أجورهم يُبلِّغهم مراتبَ الشُّهداء، والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواءً، ويدل عليه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُئل: أي الجهاد أفضل؟ قال: ((مَنْ عُقِرَ جَوادُه وأُهْرِيقَ دَمُه)).

ويتحصل ممَّا ذُكر في هذه الأحاديث أن الشُّهداء قسمان:

1- شهيد الدنيا.

2- شهيد الآخرة: وهو مَن يُقْتَل في حرب الكُفار مُقبلاً غيرَ مُدْبر، مخلصًا.

وشهيد الدنيا: وهو مَن ذُكِر، ويُعطى من جِنس أجر الشهداء، ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا؛ اهـ بتصرف.

24- الموت على عمل صالح:

فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن قال: لا إله إلا الله، ابتغاء وجه الله، خُتِمَ له بها، دَخل الجنَّة، ومَن صام يومًا ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنَّة، ومَن تصدَّق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنَّة))؛ (قال الألباني: إسناده صحيح).

أخرج الإمام أحمد والبزَّار بسند صَحيح من حديث حُذيفة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن خُتِمَ له بصيام يومٍ دخل الجنَّة))؛ (صحيح الجامع: 6422).

أي: مات بعد صومه، أو عند إفطاره عقب صومه.

وفي "مسند الإمام أحمد" والترمذي بسند صحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله، قيل: كيف يَستعمِلُه؟ قال: يُوفِّقُه لعمل صالح قبل الموت، ثم يَقبضه عليه))؛ (صحيح الجامع: 305).

وفي لفظ آخر عند أحمد والحاكم عند عمرو بن الحَمِق: ((إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا استعمله))، قيل: كيف يستعمله؟ قال: ((يَفتح له عملاً صالحًا بين يَدي موته؛ حتى يَرضى عنه مَن حوله))؛ (صحيح الجامع: 304).

وفي رواية عند الطبراني في "الكبير" عن أبي أُمامة - رضي الله عنه - قال: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا طهَّره قبل موته))، قالوا: ما طهور العبد؟ قال: ((عمل صالح يُلهمه إياه حتى يقبضَه عليه)).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي رواية عند أحمد والطَّبراني عن أبي عِنبة - رضي الله عنه -: ((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا عَسَلَهُ))، قيل: وما عَسَلُهُ؟ قال: ((يفتح له عملاً صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه))؛ (السلسلة الصحيحة: 1114)، (صحيح الجامع: 307).

وأخرج البزار بسنده: "أن رجلاً جاء النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، وصلَّيتَ الصلوات الخمسَ، وأديتُ الزَّكاةَ، وصُمتُ رمضانَ وقُمتُه، ممَّن أنا؟ قال: ((من الصِّدِّيقين والشُّهداء))".

وفي رواية ابن خُزيمة: "جاء رسولَ الله رجلٌ من قُضاعة، فقال له: إن شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، وصلَّيتُ الصلواتِ الخمسَ، وصمتُ الشهرَ، وقمتُ رمضانَ، وآتيتُ الزَّكاة، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن مات على هذا، كان من الصِّدِّيقِين والشُّهداءِ))".

قال ابنُ خزيمة - رحمه الله -: "استِحقاق قائمَة اسم الصِّديقين والشهداء إذا جَمَعَ مع قيامه رمضانَ صيام نهاره، وكان مقيمًا للصَّلوات الخمس، مؤَديًا للزكاة، شاهدًا لله بالوحدانيَّة، مُقرًّا للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالرِّسالة، ومات على ذلك".

حُسْن خاتمة أبي حكيم الخبري - رحمه الله -:

"حدَّث أبو الفضل بن ناصر، عن جدِّه أبي حكيم الخبري، أنه كان قاعدًا يَنسخ، فوقع القَلم من يَده، وقال: "إن كان هذا موتًا، فوالله إنه موت طيِّبٌ، فمات"؛ (الثبات عند الممات: ص 176).

25- الموت بالمدينة المنوَّرة:

ففي "مسند الإمام أحمد" والترمذي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن استَطاع أن يموتَ بالمدينة، فليمُتْ بها؛ فإني أَشفعُ لِمَن يَموت بها))؛ (صحيح الجامع: 6015).

فاللهم ارزقنا شهادة في سبيلك، وأن نُدفن في بلد حبيبك.

وهكذا كان عُمر يدعو، في "صحيح البخاري" عن حَفصة بنت عمر- رضي الله عنها - قالت: قال عمر - رضي الله عنه -: "اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولِك، فقلتُ: وأنى يكون هذا؟! قال: يأتي الله به إذا شاء" وقد كان، فمات شهيدًا ودُفن في المدينة - رضوان الله عليه.

وأخيرًا.. فهذه جملةٌ من علامات حُسن الخاتمة، التي يُستبشرُ بها للميِّت، إلا أنه هناك أمرٌ ينبغي أن يُتَنبَّه له، وهو: أن ظهورَ شيء من هذه العلامات أو وقوعها للميت، لا يَلزم منه الجَزم بأن صاحبها من أهل الجنَّة، ولكن يُستبشر له بذلك، كما أن عدم وقوع شيءٍ منها للميِّت لا يَلزم منه الحُكم بأنه غير صالح... أو نحو ذلك، فهذا كله من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: أسبابُ حُسن الخاتمة

1- إقامة التَّوحيد لله - جلَّ وعلا -:

فأمر العقيدة ليس أمرًا ثانويًّا حتى نُؤجله أو نُؤخره، بل هو الأساسُ الذي يَقوم عليه الدين كله، فالإسلامُ عقيدة تَنبثق منها شَريعةٌ، وتلك الشَّريعة تُنظِّم شُؤون الحياة، ولا يَقبل الله من قَوم شريعتهم حتى تصِحَّ عقيدتُهم.

* ومن أعظَم أسباب حُسن الخاتمة: إقامةُ التَّوحيد لله تعالى:

ففي "صحيح البخاري" من حديث عتبان بن مالك - رضي الله عنه - أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((فإنَّ الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله)).

وفي "البخاري" كذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَن شَهِد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجَنَّة حقٌّ، والنار حق، أدخله الله الجَنَّة على ما كان من العمل)).

قال الحافظ: معنى قوله: ((أدخله الله الجَنَّة)) على ما كان من العمل؛ أي: من صَلاح أو فساد؛ لأن أهل التَّوحيد لا بد لهم من دُخول الجَنَّة، على حَسَب أعمال كل منهم في الدرجات.

- إن إقامة التوحيد في قلبِ المسلم، تجعله يجني ثمارَه في حياته وعند موته، وفي قَبره، ويوم حَشره، ولنعلم جميعًا أن هذا التوحيد هو الذي سيقودنا إلى رضوان ربِّ العالمين وإلى جَنَّة النعيم، فمَن سلِمَت عقيدتُه من الشِّرك، سَهُل عليه النُّطقُ بكلمة التوحيدِ عند خروج الرُّوح، بخلاف أهل الشِّرك والنفاق، فإنهم لا يُوفَّقون للنُّطق بهذه الكلمة، وظهر لهم في هذه اللَّحظات الحَرِجة ما هُم عليه من الضَّلال والزَّيغ والخِذْلان.

2- التقوى:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: 197].

فالتقوى كما عرَّفها ابن مسعود في قوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}، قال: أنْ يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكَر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفَر.

وقال طَلق بن حَبيب: "إذا وقَعت الفِتنة، فأطفِئُوها بالتَّقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: أنْ تَعمل بطاعةِ الله على نُور من الله، تَرجو ثوابَ الله، وأن تَترك مَعصيةَ اللهِ على نُورٍ من الله تَخاف عقابَ الله".

والتقوى لها تعريفاتٌ كثيرة، كلها يدور حول معنى واحد فقط، وهو: أن تَجعل بينك وبَين عَذاب الله وِقاية، وذلك بِفعل المأمُور واجتناب المحظور، فالتقوى من أعظم الأسباب التي تقود المؤمنَ إلى حُسن الخاتمة، فالتَّقوى سببٌ لتكفير السيِّئات، ومَغفرة الذُّنوب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: 29].

- والتقوى سبب لقبول الأعمال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: 27].

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- والتقوى سبب للخروج من كل ضيق: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2، 3]، ولا شك أن العبد في حال السكرات، يكون في ضيق وشدة، والمخرج والنجاة من هذا يكون في تقوى الله.

- والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق: 4].

- والتقوى سبب للنجاة من المهالك: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: 71، 72].

- والتقوى سبب لدخول الجنَّة: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: 63].

3- الاستقامة:

فالاستقامة أعظم الكرامة، وهي سبب عظيم من أسباب حسن الخاتمة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: 13].

فهي كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصِّدِّيق - رضي الله عنه - لما سُئل عنها: "أن لا تُشرك بالله شيئًا"، فأراد بها الاستقامة على محْضِ التوحيد.

وفسَّرها عمرُ بالاستقامة على الأمر والنهي، فقال - رضي الله عنه -: "أي: تستقيم على الأمر والنهي، ولا تراوغ روغان الثعالب".

وفسَّرها ذو النورين: "بإخلاص العمل لله".

وفسَّرها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: بالمحبَّة والعبودية، لا يلتفتوا عنها يمنةً ولا يَسرةً.

وكان يقول - رحمه الله -: "أعظم الكرامة لزوم الاستقامة"؛ (سكب العبرات للعفاني: ص57 بتصرف).

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن سفيان بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: "قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: ((قل: آمنت بالله ثم استقم))".

فالاستقامة حِكمةٌ جامعة آخذةٌ بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -:

"والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيِّم من غَير تعريج عنه يمنةً ولا يَسرةً، ويشمل ذلك: فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وتَرْكَ المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها".

نماذج وأمثلة من الذين استقاموا على دين الله

ها هو أبو سفيان لما حضرته الوفاة قال: "لا تَبكوا عليَّ، فإني لم أتنطَّف بخطيئة منذ أسلمتُ" - لم أتنطَّف: أي: لم أتلطَّخ؛ (السير 204/1).

وقال ابن قُدامة عن العماد المقدسي:

"مِن عمري أعرفه، ما عرفتُ أنه عصى الله معصية، فلما جاءه الموت، جعل يقول: يا حيُّ يا قيُّوم، لا إله إلا الله، برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهَّد"؛ (السير: 50/22).

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابن دقيق العيد - رحمه الله -:

"ما تكلَّمتُ بكلمة، ولا فعلتُ فعلاً منذ أربعين سنة، إلا وأعددتُ له جوابًا بين يدي الله عز وجل".

وقال القاضي أبو بكر الشامي: "قلتُ للقاضي أبي الطيِّب شيخنا - وقد عُمِّر-: لقد مُتِّعْتَ بجوارحك، فقال: لِمَ لا! والله ما عصيتُ الله بواحدة منها قط".

لله دَرُّهُم! استقاموا على دين الله، فوجدوا حلاوةَ الإيمان وطعمَ العبادة.

وقد قيل لوُهيب بن الوَرد: "أيجد طعم العبادة مَن يعصِي الله؟ قال: لا، ولا مَن هَمَّ بمعصيَة".

فهنيئًا لأهل الاستقامة، فهم الذين ذاقوا حلاوةَ وطعمَ العبادةِ، وهم الذين تتنزَّل عليهم الملائكةُ عند الموت؛ لتُبشرهم بجَنَّة الرَّحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: 30 - 32].

فأهل الاستقامة هم الذين تتنزَّل عليهم ملائكةُ الله - عز وجل - عند الموت بالبِشارة بالجَنَّة والنَّجاة من النار، إشارة إلى أنهم يوفَّقون للخاتمة الحسَنة؛ (تذكرة النفوس المؤمنة لأحمد فريد - حفظه الله -: ص69).

وقفة مع قوله تعالى: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [فصلت: 6].

هذه الآية تُشير إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيُجبَر ذلك بالاستغفار المُقتضي للتَّوبة والرُّجوع إلى الاستقامَة.

فهو كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ: ((اتقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأَتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها)).

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الناس لن يُطيقوا الاستقامة حقَّ الاستقامة.

ففي "مسند الإمام أحمد" وابن ماجه من حديث ثَوبان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خيرَ أعمالِكم الصَّلاةُ، ولا يحافظ على الوُضوء إلا مُؤمنٌ))، فأصل الاستقامة استقامة القَلب على التَّوحيد، كما فسر أبو بكر الصِّدِّيق وغيره.

وفي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الأحقاف: 13].

يُشير إلى أنَّهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلبُ على مَعرفة الله وعلى خَشيته وإجلاله ومهابتِه ومحبَّته وإرادته ورجائِه ودعائِه والتوكُّل عليه والإعراض عما سواه - استقامت الجوارح كلُّها على طاعته، فإن القلبَ هو مالك الأعضاء وهي جُنودُه؛ فإذا استقام المَلِكُ استقامت جنودُه ورعاياه"؛ (اهـ بتصرف من جامع العلوم والحكم: 51/1).

4- الإكثار من ذكر الموت:

وذكر الموت يُنغِّص اللَّذَّات، ويحقر الشَّهوات، ويَجعل الآخرة نُصبَ العين، وذِكرُ الموت يَردَع عن المعاصي، ويُليِّن القلبَ القاسي، ومَن أكثر مِن ذِكر الموت، أُكرِم بثلاثة أشياءَ: تَعجيل التَّوبة، وقَناعة القلب، ونشاط العبادة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن نسي الموت عُوقب بثلاثة أشياء: تَسويف التوبة، وترك الكفاف، والتَّكاسل عن العبادة.

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول كما عند التِّرمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: ((أكثروا ذِكرَ هاذِمِ اللَّذَّات: الموت)) (صحيح الجامع: 1210).

- وعند ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُئل: أي المؤمنين أَكْيَس؟ قال: أَكثَرُهم ذِكرًا للموت، وأشدُّهم استعدادًا له، أولئك هم الأكياسُ))؛ (الصحيحة: 1384).

نعم؛ فهُم أكيسُ وأعقل الناس؛ لأن ذكر الموت لا يغيب عنهم، فهم في عمل دائب، واجتهاد في الطاعة، حتى تكون الرَّاحة في الجَنَّة.

- ومشاهدة المحتضَرين، والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طُلوع الرُّوح وشِدَّة كربِهم، أعظم عِبرة للاتِّعاظ، وعدم نسيان المَوت.

دخل الحسنُ البصري - رحمه الله - على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربِه وشدَّة ما نزلَ به، فرجَع إلى أهلِه بغير اللَّون الذي خرج به مِن عندهم، فقالوا له: الطَّعام يرحمُك الله، فقال: يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيتُ مَصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه".

وصدق ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال: "السَّعيد من وُعِظ بغَيره".

- وكذا زيارة القبور تجعل الإنسان لا يَنسى الموتَ، ورؤيتُها سبيلٌ لأنْ يرقَّ القلبُ، وتدمعَ العينُ، وتجعل زائرها يَزهد في الدنيا، ويَرغب في الآخرة، ويُسارع بالتَّوبة والأوبة والرُّجوع إلى مولاه، ويُكثر مِن الطاعة، ويُلازم ذلك حتى مجيء الموت، فتختم له بخاتمة السعادة.

وبيَّن القرطبي - رحمه الله - كيف يتحقَّق لزائر القَبر أن يتعظ ويعتَبر، فقال - رحمه الله -:

"يعتبر بمَن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوشَ والعساكر، ونافس الأصحابَ والعشائر، وجمع الأموالَ والذخائر، فجاءه الموتُ في وقت لم يحتسبه، وهَوْل لم يرتَقِبْه، فليتأمل الزَّائر حال مَن مضى مِن إخوانه ودرج مِن أقرانه، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تُغنِ عنهم أموالُهم، ومحا الترابُ محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمَّل بَعدهم نساؤهم، وشمل ذلُّ اليُتم أولادَهم، واقتسَم غيرُهم طريقَهم وبلادَهم.

وعند هذا التَّذكُّر والاعتبارِ يزولُ عنه جميع الأغيار الدنيويَّة، ويقبل على الأعمال الأُخرويَّة، فيزهد في دنياه، ويُقبل على طاعة مولاه، ويَلين قلبُه، وتَخشع جوارحُه"؛ (الثبات على دين الله: 1029/1).

- فالمؤمن الصَّادق يَذكر الموت دائمًا؛ لأنه موعد لقاء الحبيب، فهو دائمًا لا يَنسى موعد لقاء حبيبه - جل وعلا - ولذا تراه يَشتاق إلى الموت، ليخرج من دار العاصين، ويَنتقل إلى جوار ربِّ العالمين.

فها هو معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يقولُ عند موته: حَبيب جاء على فاقَةٍ (يقصد الموت).

ولما حضر بلال الوفاة: قالت زَوجته: واحزناه، قال لها: لا، بل قولي: وافرحتاه، غدًا ألقى الأحِبَّة، محمدًا وصحبَه.

فذِكر الموت يجعلُ العبدَ دائمًا في طاعة الله، ومِن ثَمَّ يقوده إلى حُسن الخاتمة.

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

5- الصِّدق:

والصدق أساس بناء الدين، وعمودُ فُسطاط اليقين، مَن لم يكن معه الصدق فهو مِن المنقطعين الهالكين، ومَن كان معه الصِّدق أَوصله إلى حَضرة ذي الجلال، وكان سببًا في حُسن خاتمته وطيب المال؛ لذا أمرنا به ربُّ العالمين، فقال في كتابه الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

وقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: ((عليكم بالصِّدق؛ فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ، والبر يهدي إلى الجَنَّة، وما يزال الرَّجل يصدُق ويتحرَّى الصِّدق حتى يُكتَب عند الله صِدِّيقًا)).

ففي هذا الحديث إشعار بحُسن خاتمة الصَّادق، الذي يتكرر منه الصدقُ، فالمؤمن الصَّادق يَلتزم الصِّدق في القَول، وفي النِّية والإرادة، وفي العزم والصدق في العمل، والصدق في الخوف والرَّجاء، والرِّضا والحُب والتَّوبة.

أخرج النسائي والحاكم عن شدَّاد بن الهادِ - رضي الله عنه -: "أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فآمن به واتَّبعه، ثم قال: أُهاجرُ معك، فأوصى به النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بعضَ أصحابه، فلما كانت غزوة، غَنم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - سبيًا فقَسَم، وقسَم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يَرعى ظهرَهم؛ فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْم قسمَه لك النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فأخذه فجاء به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما هذا؟ قال: ((قَسمتُه لك))، قال: ما على هذا تبعتُك، ولكن اتَّبَعتُك على أنْ أُرمى ها هنا - وأشار إلى حَلقه - بسهمٍ فأَدْخُل الجَنَّةَ، فقال: ((إن تَصدُق الله يَصدقْك))، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي - صلى الله عليه وسلم - يُحمَل، قد أصابه السَّهم حيث أشار، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((أهو هُو؟)) قالوا: نَعم، قال: ((صدق اللهَ فصدقَه))، ثم كفَّنه النبي - صلى الله عليه وسلم - في جُبَّة، ثم قدَّمه فصلَّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: ((اللهُمَّ هذا عبدُك خرج مُهاجرًا، فقُتِل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك))"؛ (صحيح الجامع: 1415).

وفي "صحيح البخاري" و"مسلم" عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

"غاب عمِّي أنسُ بن النَّضر عن قتال يوم بدر، فقال: غِبتُ عن أوَّل قتال مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَئِن أشهدني الله قتالاً ليَرَينَّ اللهُ ما أصنع، فلمَّا كان يوم أُحد، وانكشف المسلمون، انهزموا، وأشيع خبر مَقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - فانهارت أو كادت تَنهار نفوسُ كثير من أصحاب النبي، فتوقف منهم من توقَّف عن القتال، وألقى أسلحتَه مُستكينًا، ومرَّ بهؤلاء أنسُ بنُ النَّضر وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتِل رسولُ الله، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟! قُوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: اللَّهم إني أَعتذر إليك مما صَنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدَّم، فلقِيه سعدُ بن مُعاذ، فقال: أين يا أبا عُمير؟ فقال أنس بنُ النضر: واهًا لريح الجَنَّة يا سعد! إني أجده دون أُحد.. ثم مضى، فقاتل القومَ حتى قُتِل، فما عُرِف، حتى عرَفَتْه أختُه بعد نهاية المعركة ببَنانِه، وبه بضعٌ وثمانون، ما بين طَعنة برُمح، وضربةٍ بسيف، ورميةٍ بسهم".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذا أنس بنُ النضر - رضي الله عنه - يقوده صِدقه إلى تلك الخاتمة السعيدة، فيجد ريحَ الجَنَّة قبل أن يُقتَل.

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: فكنَّا نتحدَّث أن هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 23]، نزلت فيه وفي أصحابه.

وهكذا فإنَّ العبد إذا صَدق مع الله، فإن الله يَحفظ عليه إيمانه، ويثبِّت قلبَه على التَّوحيد، ويرزقه حُسن الخاتمة.

يقول الحارثُ الغنوي: "آلى رِبْعي بنُ حِراش ألا تفترَّ أسنانه ضاحكًا، حتى يَعلم أين مصيرُه، قال الحارث: فأخبر الذي غسَّله أنه لم يزل مبتسمًا على سريره ونحن نُغسِّله، حتى فرغنا منه، رحمة الله عليه؛ (تاريخ دمشق: 101/6).

6- غلبة الرَّجاء، وحُسن الظنِّ بالله:

"الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع في الطائر النقص، وإن ذهب أحدهما أو كلاهما، صار الطائر عُرضةً للهلاك"؛ (مدارج السالكين: 36/2).

ولقد جمع القرآن الكريم بينهما في أكثر من موضع، فقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 56، 57].

وقال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9].

ولا يجتمع الخوف والرجاءُ في قلب العبد عند سكرات الموت ومُفارقة الحياة، إلا أعطاه اللهُ ما يرجوه من الرَّحمة، وأمَّنه ممَّا يخافُه من العُقوبة والمغفرة.

ففي "سنن ابن ماجه" من حديث أنس - رضي الله عنه -: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على شابٍّ وهو في الموت، فقال له: ((كيف تَجدُك؟)) قال: أرجو الله، وأخاف ذُنوبي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمَّنه ممَّا يخاف))"؛ (الصحيحة: 1051).

لكن ينبغي أن يُغلَّبَ عند الموت جانبُ الرَّجاء على الخوف، وأن الله تعالى يرحمه، ويَعفو عنه، ويتجاوز عن سيِّئاته، وذلك حسن الظن الذي عناه النبي - صلى الله عليه وسلم.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - قال: "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول قبل مَوته بثلاثٍ: ((لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسن الظنَّ بالله))".

قال السَّادة العلماءُ: "ومعنى إحسان الظنِّ بالله، أن يظنَّ أنه يَرحمه ويعفو عنه".

يقول حبانُ أبو النضر - رحمه الله -:

"دخلت مع واثلةَ بنِ الأسقع على أبي الأسود الجُرشي في مرضه الذي مات فيه، فسلَّم عليه وجلس، قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه ووجهِه لبيعته بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له واثلةُ: واحدة أسألك عنها، قال: وما هي؟ قال: كيف ظَنُّك بربِّك، فقال أبو الأسود وأشار برأسه، أيْ: حسَن، قال واثلةُ: أبشِر،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إني سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: قال الله - عز وجل -: ((أنا عند ظنِّ عبدي، فليظُن بي ما شاء))؛ (حُسن الظنِّ لابن أبي الدنيا)، (الثبات عند الممات لابن الجوزي (68-69).

فعلى المرءِ إذا نزَل به الموت أن يُحسن الظنَّ بالله، وذلك لما يلي:

أخرج الإمام أحمد عن أبي هُريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((قال الله - عز وجل -: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله))؛ (السلسلة الصحيحة: 1663).

((أنا عند ظن عبدي بي))، قال ابن الجوزي - رحمه الله -: "أي في الرجاء وأمل العفو".

وأخرج الطبراني في "الأوسط" وابن حبَّان من حديث واثلةَ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيرًا فخَير، وإن شرًّا فشَر))؛ (صحيح الجامع: 1905).

- فالإنسان المفارق لدنياه، المُقبل على مولاه، لم يَبق له إلا التعلُّق بعفو الله ورحمته، وعظيم فضله، ورجاء كَرمه، ولا بد أن يَسبق إلى ذهنه في هذه اللَّحظة أن رحمة الله وَسعت كلَّ شيء، وأنها غلَبت غضبَه، وأنَّ عفو الله أحبُّ إليه من الانتقام، وهذا هو حُسن الظنِّ بالله، والذي يَنبغي أن يكون عليه كلُّ مَن نزل به الموتُ، حتى يحبَّ لقاء الله، فيُحب اللهُ لقاءَه.

- فعلى مَن نزل به الموتُ أن يجعلَ حُسن الظنِّ بالله شِعارَه ودِثاره؛ لأن الشيطان يأتيه ويجعله يَسخط على الله، أو يُخوِّفه فيما هو قادمٌ عليه، فلا يحب لقاءَ الله، فحُسن الظنِّ بالله أقوى سلاح يدفعُ به العدو.

يقول عطاء بنُ السَّائب: "دخلنا على أبي عبدالرَّحمن نعوده؛، فذهب بعضُ القوم يرجِّيه، فقال: إني لأرجو ربي، وقد صُمت له ثمانين رمضان"؛ (الثبات عند الممات: ص70).

ومرض أعرابي فقيل له: إنَّك تموت، فقال: أين يُذْهَب بي؟ قالوا: إلى الله، فقال: وما كراهيتي أن أذهب إلى مَن لا يُرى الخير إلا منه!".

وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: "ليغفرنَّ الله - عز وجل - يوم القيامة مغفرةً لم تَخطرْ على قلب بَشر".

وقال محمد بن الرَّاشد: "رأيتُ عبدالله بن المبارك في النَّوم بعد مَوته، فقلت: أليس قد متَّ؟ قال: بلى، قلت: ما فعلَ اللهُ بك؟ قال: غفر لي مغفرةً أطاحت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثَّوري؟ قال: بَخٍ! بَخٍ!، ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وحسُن أولئك رفيقًا"؛ (العاقبة لعبدالحق الإشبيلي: 131).

وفي كتاب "أهوال القبور" لابن رجب الحنبلي، وكذلك في كتاب "المحتضرين" لابن أبي الدنيا عن أبي غالب صاحب أبي أُمامة: "أنَّ فتى بالشام حضره الموت، فقال لعمِّه: أرأيت لو أن الله دَفعني إلى والدتي، ما كانت تصنع بي؟ قال: إذًا واللهِ تدخلك الجنَّة، فقال: والله، للهُ أرحم بي من والدتي، فقُبض الفتى، فخرج عليه عبدالله بنُ مرْوان، قال: فدخلتُ القبر مع عمِّه، فخطُّوا له خطًّا و لم يلحدوا، قال: فقلنا: باللَّبن (الطُّوب غير المحروق) فسوَّينا عليه، فسقطت منه لَبنة فوثَب عمُّه فتأخر، قلتُ: وما شأنُك؟ قال: مُلِئ قبرُه نُورًا، وفسح له مدَّ البصر".

وأخيرًا نختم بمقولة محمد بن مُطرِّف بن داود حيث قال:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم، كيف تجدُك؟ قال: أجدني بخيرٍ، أجدني راجيًا الله، حَسَنَ الظَّن به، ثم قال: إنه والله ما يَستوي مَن غدًا وراحَ يعْمُر عقد الآخرة لنفسِه، فيقدمها أمامَه قبل أن ينزل به الموتُ، حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقُوم له، ومَن غدا وراح في عقد الدنيا يَعْمُرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظَّ له فيها ولا نَصيب"؛ (حلية الأولياء: 241/3)، (قصر الأمل: ص110).

7- قِصر الأمل والتَّفكُّر في حقارة الدنيا:

قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]، فالمؤمن يَعلم يقينًا أن الدنيا لا تُساوي عند الله جَناح بَعوضة، وأنه سينسى كل شقاء بغمسة واحدة في جَنَّة الرحمن؛ ولذلك فهو لا يتعلَّق قلبه بأي شيء من حُطام الدنيا، بل يُمسي ويُصبح، وهو مشغول بالعمل لهذا الدِّين، ولا يَرى أمام عينِه إلا الجَنَّةَ والنَّار، فهو يعلم يقينًا أنه لا راحةَ إلا في جَنَّة العزيز الغفَّار.

فها هو ابن عمر-رضي الله عنهما -: "يقوم من الليل، فيتوضأ ويصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويُصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم يُصلِّي يفعل ذلك مرارًا".

وكان عُمير بن هانئ: يُسبِّح كلَّ يوم مائةَ ألف تسبيحة".

وقال أبو بكر بن عيَّاش: "ختمتُ القرآنَ في هذه الزَّاوية ثمانيةَ عشرَ ألف ختمة".

فهؤلاء هم القومُ، علموا أن الدُّنيا دار ممرٍّ وليست دار مستقر، فتزوَّدوا منها لآخرتهم، وتمثَّلوا قولَ النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما قال لرجُل وهو يَعظُه: ((اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابَك قبل هرَمِك، وصحَّتك قبل سَقمك، وغِناك قبل فَقرك، وفراغَك قبل شُغلك، وحياتك قبل مَوتك))؛ (أخرجه الحاكم).

تنبيه:

ينبغي على مَن حضر الميِّت أن يُذكِّره بهذا الأصل الأصيل، وهو حُسن الظن بربِّ العالمين.

يقول إبراهيم – رحمه الله –:

"كانوا يستحبُّون أن يلقِّنوا العبدَ محاسن عملِه عند مَوته؛ لكي يُحسن ظنَّه بربه"؛ ولذلك كان سُليمان التيميُّ يقول لابنه المُعتمر عند الموت: "يا بُنيَّ، حدِّثني بالرُّخَص؛ لعلي ألقى الله – تعالى – وأنا أُحسن الظنَّ به"؛ (حلية الأولياء: 31/3).

وكان ابن مِجْلَز – رحمه الله – يقول: "لا تحدث المريضَ إلا بما يُعجبه"؛ اهـ.

* وهذا ما كان يَفعله السلفُ الكِرام:

فها هو ابن عباس -رضي الله عنهما -: "يدخل على عُمر بن الخطَّاب – رضي الله عنه – لَمَّا طُعِن، فجعل يقول له: لقد صَحِبت رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فأحسنتَ صُحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم صاحبت أبا بكر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأحسنت صُحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَهم - أي: المسلمين - فأحسنتَ صُحبتهم، ولئن فارقتَهم لتفارقنهم وهم عنك راضون"؛ (البخاري).

وأيضًا قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لعائشة لما نزل بها الموتُ: "فأنتِ بخيرٍ إن شاء الله، زوجة رسولِ الله، و لم يَنكح بِكرًا غيرَك، ونزل عُذرُك من السماء"؛ (البخاري).

وفي "صحيح مسلم" عن عبدالرحمن بن شماسة المهري قال: "حضرنا عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وهو في سياق الموت، فبكى طويلاً، وَحوَّل وَجهه إلى الجِدار، فجعل ابنه يَقول: يا أَبتاه، أما بشَّرك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بكذا؟ أما بشَّرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكذا؟".

8- البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

فإنَّ من أسباب حُسن الخاتمة: الخوف من سُوء الخاتمة، والبُعد عن أسبابها.

ومن أسباب سوء الخاتمة، كما ذكرناها في الرسالة السابقة:

1- فسادُ المُعتقد، والتَّعَبُّد بالبدع.

2- النفاق ومُخالفة الباطن للظاهر.

3- التَّسويف بالتوبة.

4- طُول الأمل وحبُّ الدنيا.

5- تَعلُّق القلب بغير الله.

6- الانتحارُ واليأس من رحمة الله.

7- إِلْفُ المعصية والإصرار عليها.

8- مُصاحبة أهل الفساد.

9- عدمُ الاستقامة على الطاعة.

9- المداومة على ذكر الله - عز وجل -:

إنَّ دوامَ ذِكر الله تعالى يُوجب الأمان من نِسيانه، فإن نِسيان الله تعالى للعبد يُوجب نسيانَ العبد نفسه، وهذا عين الشَّقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [الحشر: 19].

وإذا نَسِي العبدُ نفسَه أعرض عن مصالحها ونسيَها، واشتغل عنها فهلكت وفسدت، كمَن له زَرع أو ماشيَة.. أو غير ذلك، ممَّا صلاحُه وفلاحُه بتعاهده والقيام علَيه، فأهمله ونسيَه واشتغل عنه بِغيره، فإنه يَفسد ولا بد، وهذا حال من أعرض عن ذكر الله، فإن الله يُقيِّض له شيطانًا فهو له قرين، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: 36].

- أضف إلى هذا أن قلبه سيموت، فيُصبح جسده قبرًا لقلبه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَثلُ الذي يَذكرُ ربَّه، والذي لا يَذكر ربَّه مَثلُ الحيِّ والميِّت)).

فهذا إنسانٌ ميِّت، وإن كان يمشي بين الأحياء، بخلاف مَن يذكرُ اللهَ ويُكثر من ذِكره؛ فهذا قلبُه يَنبض بالحياة؛ لأن الذِّكر حياةُ القلب ومادَّتُه التي تُحركه يَقظةً وإنابةً وخوفًا ورجاءً وخُشوعًا ورهبةً ورَغبةً، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

قال رجل للحسن البصري: "يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوةَ قلبي، قال: أَذِبْه بالذِّكر، فكل شيء له صَدأ، وصَدأ القَلب الغَفلة والهوى، وجلاؤه الذِّكر والتَّوبة والاستغفار.

فالذكرُ سببٌ للنَّجاة من عذاب الله، ففي "مسند الإمام أحمد" عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما عمِل آدمي قط أنجى له من عذاب الله مِن ذِكر الله عز وجل)).

فمَن لازم ذكرَ الله، فإنه سيجد هذا أحوجَ ما يكونُ له عند خروج الرُّوح، وفي قَبره وفي آخرته، فهو غِراس الجنَّة.

يقول ابن القيم - رحمه الله -:

"فمَن كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبَّته في حال حياتِه، وجد ذلك أحوَج ما هو إليه عند خروج رُوحه إلى الله، ومَن كان مشغولاً بغيره في حال حياته وصحَّته، فيعسرُ عليه اشتغاله بالله، وحضوره معه عند الموت، ما لم تدركه عنايةُ ربِّه، ولأجل هذا كان جديرًا بالعاقل أن يُلزم قلبَه ولسانه ذكرَ الله حيثُما كان لأجل تلك اللَّحظة، والتي إن فاتت شقِيَ شقاوة الأبد، فنسأل الله أن يُعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته"؛ اهـــ؛ (طريق الهجرتين ص 308).

وها هو خالد بن مَعْدان - رحمه الله - إمام أهل الشام:

"كان يُسبِّح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وُضِع على سريره ليُغسَّل، فجعل يُشير بأصبعه؛ يُحرِّكها بالتَّسبيح".

وهذه قصة رجل في هذا الزَّمان: "عاش على ذكر الرحمن ومات عليه، وعليه يُبعث إن شاء الله، كان هذا الرَّجل يجلس في أحد مجالس العلم، فذكر الشيخ حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((كلمتان خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرَّحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))، فأعجبه الحديثُ، وطلَب من الشَّيخ أن يُعيدَه، فأعاد الشيخ، فحفظه الرجلُ، وبدأ يَنشره ويدعو به، فذهب إلى زوجته فقال لها: يا زوجتي، ((كلمتان خفيفتان على اللسان...)) الحديث، وذهب إلى أولاده، وقال: يا أولادي، ((كلمتان خفيفتان على اللسان..)) الحديث، يا جيراني، يا أحبابي، يا أصدقائي، يا أقاربي.. ((كلمتان خفيفتان على اللسان...)) الحديث.

فلمَّا نزل به الموتُ جاؤوا بالطبيب، فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا الطبيب، فقال الرجل له: يا طبيب، ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))، ثم مات، وخُتِم له بهذه الكلمة، ومَن مات على شيء بُعِث عليه، نسأل الله أن يغفر لنا وله، ويكتب له الأجر العظيم، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

10- الدعاء:

وذلك بأن تتوجه إلى الله - عز وجل - بالدعاء، وتبكي وتتذلَّل بين يديه - سبحانه - بأن يُثبِّت قلبك على الإيمان، وأن يَرزقك حُسن الخاتمة.

فها هو حبيبك - صلى الله عليه وسلم - كان لا يفتُر لسانه عن هذا الدعاء: ((يا مُقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك))؛ (الترمذي عن أنس - رضي الله عنه - وصححه الألباني في صحيح الجامع: 7987).

وها هو الحق - جل وعلا -: يُعلِّمنا ويحثنا على أن ندعو بهذا الدعاء العظيم:

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

وكان من دعاء الصالحين أن يتوفَّاهم اللهُ تعالى على الإيمان، وأن يُكفِّر عنهم السيِّئات، وأن يتوفاهم مع الأبرار، وفي ذلك يقول عنهم الله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: 193].

وقد كان مَطلب يوسفَ الصِّدِّيق - عليه السلام -: حين دعا ربَّه عند انقضاء أجلِه وذَهاب عمُره أن يُميتَه على الإسلام، ويَحشرَه في زُمرة الصالحين، كما قال ربُّ العالمين عنه: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: 101].

فاعلم أخي الحبيب.. أنه لا ملجأ من الله إلا إليه؛ فعليك أن تلجأَ إليه في كل وقتٍ وحِينٍ ودائمًا وأبدًا، وأدعو الله أن يرزقَك حسنَ الخاتمة، وأن يُكرمك بصحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجَنَّة، وألا يحرمك من نعمة النَّظر إلى وجهه الكريم - عز وجل.

11- التوبة:

قال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: 8].

وفي "سنن الترمذي" و"مسند الإمام أحمد" عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن الله - عز وجل - يَقبل توبة العبد ما لم يُغرغر)).

ما لم يغرغر: أي: لم تبلغ رُوحه الحُلقومَ.

وثبت عند ابن ماجه من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((التائب من الذَّنب كمَن لا ذنب له))؛ (صحيح الجامع: 3008).

فمَن تاب ومات على تلك التوبة، فقد رزقه الله حُسْن الخاتمة؛ لأنه يُبْعَث تائبًا يوم القيامة من كلِّ الذنوب، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن مات على شيء، بعثه الله عليه)).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا أدل على ذلك من الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخُدْري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قَتَل تِسعةً وتسعين نفْسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتَلَ تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمَّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُل على رجل عَالِم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ قال: نعم، ومَن يَحولُ بينه وبين التَّوبة؟! انطلِقْ إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله، فاعبُدِ اللهَ معهم، ولا تَرجع إلى أرضك؛ فإنها أرضُ سَوء، فانطلق حتى إذا نَصف الطَّريقَ أتاه الموتُ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرَّحمة وملائكةُ العذاب، قالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يَعمل خيرًا قطُّ، فأتاهم ملَك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قِيسوا ما بين الأرضَيْن، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكةُ الرحمة)).

قال قتادةُ: قال الحسن: "ذُكِر لنا أنَّه لما آتاه الموت نأى بصدره".

- وفي رواية: "فأوحى اللهُ إلى هذه: أنْ تقارَبي، وأوحى إلى هذه: أن تباعَدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فَغُفِر له".

فسُبحان الملك! الأرض كلُّها بجبالها وأنهارها وكل ما عليها تتحرك بإذن من الله من أجل تائب!

* شروط التوبة:

1- الإقلاعُ عن الذنوب.

2- النَّدم على فعل تلك الذنوب.

3- العزمُ على ألا يعودَ إليها أبدًا.

4- الإخلاصُ في التوبة.

5- التحلُّل من المظالم؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن كان لأخيه عنده مَظلمةٌ من مال أو عِرض، فلْيَتَحلَّله اليومَ قبل ألا يكونَ دينارٌ ولا دِرهمٌ إلا الحسنات والسيئات)).

وفي رواية أخرى في "الصحيحين": ((مَن كانت عنده مَظلمةٌ لأخيه من مالٍ أو عِرضٍ، فليأْتِه فليستَحِلَّها منه قبل أن يُؤخَذ وليس عنده دِرهم ولا دينارٌ، فإن كانت له حسناتٌ أُخِذَ من حسناته فأُعطيها هذا، وإلا أُخِذَ من سيِّئات هذا فأُلقي عليه)).

6- التوبة قبل الغَرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله يَبسط يدَه باللَّيل؛ ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويَبسط يدَه بالنهار؛ ليتوب مُسيء اللَّيل، حتى تَطلع الشَّمس من مغربها)).

وفي "مسند الإمام أحمد" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن الله يَقبل توبةَ العبد ما لم يُغرغر[1])).

نماذج لبعض الناس خُتمت لهم بخاتمة السَّعادة

(1) ما لم يغرغر: أي لم تبلغ روحه الحلقوم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* مجاهد بن جَبر - رحمه الله - يموت وهو ساجدٌ:

يقول الفَضل بنُ دُكَين - رحمه الله -: "مات مجاهدٌ وهو ساجدٌ"؛ (الثبات عند الممات: ص123).

* محمد بن المُنكدر - رحمه الله -:

يقول صفوان بن سليم - رحمه الله -: "أتيتُ محمدَ بنَ المنكدر وهو في الموت فقلت: يا أبا عبدالله، كأني أراك قد شَقَّ عليك الموت، فما زال يُهوِّن عليه الأمرَ، ويَنجلي عن محمد، حتى لَكان وجهُه المصابيحَ، ثم قال محمدُ بن المنكدر لصفوان: لو تَرى ما أنا فيه لَقرَّت عينُك، ثم مات"؛ (الثبات عند الممات: ص141).

* أبو بكر بن أبي مريم - رحمه الله -:

يقول يَزيد بنُ عبدربه - رحمه الله -: "عُدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النَّزع، فقلت له: رحمك الله، لو جَرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا، وكان صائمًا، ثم جاء اللَّيل، فقال: أُذِّنَ؟ فقلت: نعم، فقطرنا في فمِه قَطرةَ ماءٍ ثم مات"؛ (الثبات عند الممات: ص152).

* آدم بن أبي إياس العسقلاني - رحمه الله -:

قال أبو علي المقدسي: "لما حضرت آدمَ بنَ إياس الوفاةُ، ختَم القرآنَ، وهو مُسجًّى، ثم قال: بحُبِّي لك، إلا رَفقت بي في هذا المصرع، كنتُ أُؤمِّلُك لهذا اليوم، كنتُ أرجوك، ثم قال: لا إله إلا الله، ثم قضى"؛ (الثبات عند الممات: ص159).

* عبدالله بن المبارك - رحمه الله -:

قيل: إن عبدالله بنَ المُبارك لما حضرته الوفاةُ فتح عينيه، وضحِك، وقال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات: 61].

وهذا حدث أيضًا مع شيخ القُرَّاء أبي بكر النَّقاش، وأبي بكر النَّيسابُوري، ورِبعي بن حِراش العبسي.

* العلاء بن زياد العدوي - رحمه الله -:

يقول زُهير بن أبي عطيَّة: "لما احتضر العلاءُ بن زياد العدوي، بكى، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ قال: كنتُ - واللهِ - أحِبُّ أن أستقبل الموتَ بالتوبة، فقيل له: فافعل رحمك الله، قال: فدعا بطَهور، فتطهَّر، ثم دعا بثَوبٍ له جديدٍ، فلبِسَه، ثم استقبل القبلةَ، فأومأ برأسِه مرَّتين.. أو نحو ذلك، ثم اضجع، فمات"؛ (المحتضرين لابن أبي الدنيا: ص126).

* إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي - رحمه الله -:

"حُكِي عنه أنه لما جاءه الموتُ، جعل يقول: يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتك أستغيث! واستقبل القبلةَ، وتشهَّد"؛ (سير أعلام النبلاء: 51/22).

* في "صفة الصَّفوة": عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال:

"دخل قومٌ حُجَّاجٌ ومعهم امرأة تقول: أين بيتُ ربي.. أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة تَرَينه، فلما رأوه قالوا: هذا بيتُ ربِّك، أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: "بيت ربي.. بيت ربي"، حتى وضعت جبهتها على البيت، فوالله ما رُفِعَت إلا ميتة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* وقال الشيخ القحطاني في "تذكرة الإخوان":

"حدَّثني صاحبٌ لنا أنه مات رجل من قريتهم، وكان مُؤذِّنًا للقرية ولا يأخذ على ذلك أجرًا، وكانت له مزرعة، لا يمنع أحدًا الأكلَ منها، لا من إنسان، ولا من حيوان، وكان كثيرَ الصَّدَقة، فمرِض قبل موته لمدة أربعة أيام، وعند احتضاره اجتمعنا، وكان لا يكلمنا، وكان يردد: "أستغفر الله، لا إله إلا الله"، وفجأة رفع يده في الهواء، كأنه يصافح أحدًا، وهو يقول: أهلاً بصديقي وحبيبي، ثم مات.

وقال أيضًا: "إنه أنزل رجلاً في قبره في ليلة ظلماء، شديدة الظُّلمة، وكان الجوُّ غائمًا، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمُعة، وصلَّى عليه الشيخ ابنُ باز، ثم ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراج أو كشَّاف لكي ننير القبر، ولكنه أبطأ علينا، فأخذت أعسُّ اللحد بيدي، فقلت للإخوة: أعطوني الميت، فلمَّا سللته من جهة الرِّجلَين، ووضعته في قبره، وفككت تلك الأربطة، وإذا بالأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنارت القبر، ورآه كلُّ مَن كان معي، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر.

* مات وهو على هيئة الصلاة:

وهذه قصة رجلٌ يُدعى "ناصرًا"، وكان رجلاً صالحًا يَعمل نجَّارًا في الرياض، وكان كلما حان وقت سُنَّة الضحى، أغلق دكَّانه، وانطلق إلى المسجد المجاور للدُّكان، ثم توضأ وصلَّى سُنَّة الضُّحى، فبعد أن يَنتهي من صلاته: يَعود فيفتح دكانه، ثم يَعمل فيه، وفي يوم مِن الأيام أغلق دكانه كعادته، ودخل المسجد ليُصلِّي الضحى فتوضأ، ثم كبَّر وصلَّى، وما أن انتهى من الرَّكعة الأولى، وشرع في الركعة الثانية، فوضع يده اليمنى على اليسرى على الصدر، ثم مات وهو يُناجي ربه، مات وهو يُصلِّي، وما علموا بموته إلا عندما دخل المؤذن ليُؤذِّن لصلاة الظهر، فحملوه إلى بيته، وقاموا بتغسيله، فكلما أعادوا يده إلى جنبه، أعادها مرَّة أخرى إلى صدره، فكفَّنوه ويده موضوعة على صدره، كهيئتها في الصلاة، وسيُبعث هكذا إن شاء الله، فمَن مات على شيء، بُعِث عليه.

* ماتت وهي ساجدة:

"وهذه قصة امرأة عَجوز، بلغت الثَّمانين من عُمُرها في مدينة الرِّياض، وكلَّما جلست مع النِّساء، رأت أن المجلس لا يُصرف إلا في القِيل والقال، وفي إضاعة الأوقات، فاعتزلت هذه المجالس، وجلست في بيتها تذكر الله - تعالى - آناء الليل وأطراف النَّهار، وجعلت تصوم النهار، وتقوم اللَّيل، وكان لها ولدٌ بارٌّ بها، وفي ليلة من الليالي قامت لتُصلِّي، يقول ابنها: وفي آخر الليل إذا بها تنادي عليَّ، قال: فتقدَّمْتُ وذهَبْتُ إليها، فإذا هي ساجِدة - على هيئة السُّجود - وتقول: يا بُنيَّ، ما يتحرك فيَّ الآن سوى لساني، قال: إذًا أذهب بكِ إلى المستشفى، قالت: لا، وإنما أقعدني هنا، قال: لا والله، لأذهبنَّ بكِ إلى المستشفى، وقد كان هذا الابن حريصًا على برِّها، فأخذها وذهب بها إلى المستشفى، وتجمَّع الأطباء واحتاروا في أمرها، ولم يَعرفوا السَّبب الذي جعل جسدها يتيبَّس على هيئة السجود، ولما عجزوا قالت لابنها: أسألك الله أن تردَّني على سجادتي في بيتي، فأخذها وذهب بها إلى البيت، ثم وضَّأها وأعادها على سجادتها، فقامت تُصلِّي، يقول: وقبل الفجر بوقتٍ ليس بطويل، وإذا بها تُناديني، وتقول: يا بُنيَّ، أستودعك الله الذي لا تَضيع ودائعُه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لتصعد رُوحها إلى بارئها - جل وعلا - وهي ساجدة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فغسَّلُوها وهي ساجدة، وكفَّنُوها وهي ساجدة، وحملوها إلى الصلاة عليها وهي ساجدة، وحملوها بنعشها إلى القبر وهي ساجدة، ودُفنت وهي ساجدة، وستبعث إن شاء الله وهي ساجدة؛ فمَن مات على شيء بُعِثَ عليه؛ (اهـ بتصرف من محاضرة للشيخ علي القرني بعنوان "كلنا ذو خطأ").

* ماتت وعليها الحجاب:

"خرجت أُخت تُدْعَى "هُدى" من بيتها، وليس لها هَمٌّ سوى أن يجعلها الله سببًا لهداية مَن حولها، وفجأة وجدت فتاة تلبس "إسترتش"، فأشفقت عليها من النار؛ فتقدَّمت وقالت لها بكل عطف ورحمة: إنني أستأذنك أن تأتي معي إلى الجنَّة، فتعجَّبت الفتاة، وقالت: وأين هي الجنَّة؟ قالت: في بيت من بيوت الله، فاستجابت لها الفتاة، ودخلت معها المسجد؛ فوجدت أن الكلَّ ينظر إليها نظرة عجيبة، فأشفقت عليها "هدى" وأسرعت إلى خارج المسجد، واشترت لها حجابًا، وقالت لها: البسي هذا الحجاب حتى لا ينظر إليك أحد، وبعد المحاضرة انزعيه إن شئتِ، فقامت الفتاة وارتدت الحجاب لأول مرَّة، وأزالت المساحيق من على وجهها، وتوضَّأت لأول مرَّةٍ، وصلَّت المغرب، واستمعت إلى الدرس، وكان عن وصف الجنَّة والنار، ثم صلَّت العشاء، ولما حان وقت الانصراف، قالت لها "هُدى": الآن تستطيعين أن تنزعي الحجاب إن شئتِ، فقالت لها الفتاة: والله لقد ذقت حلاوة الإيمان، فلن أخلع الحجاب أبدًا، ولن أترك الصلاة، بل سأكون داعية إلى الله، وسأجعل حياتي وقفًا لله تعالى، وما هي إلا لحظات حتى خرَجَتْ من المسجد، فصدمَتْها سيارة، فماتت، ماتت وعليها الحجاب، وسالت الدماء الشَّريفة التي تحركت لدين الله، واحترقت شوقًا للقاء الله، فرزقها الله حُسن الخاتمة، بعد أن كانت منذ ساعة واحدة ممَّن قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهن: ((صِنفان مِن أهل النار لم أرَهُما))، وذكر منهما: ((ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات، رُؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخُلْن الجنَّة ولا يجِدْن ريحها))؛ (مسلم).

* نطَق الشهادة ومات:

يُذكر أنَّ شابًّا حدثت له حادثةٌ على الطَّريق، فأسرع إليه أحدُ رجال الأمن، فوجد الشابَّ يحتضر، وسمع حَشرجةً وغَرغَرَة، فقال له: قُل: لا إله إلا الله، فرفع الشابُّ إصبَعه السبَّابةَ إلى السَّماء، وقال: لا إله إلا الله، ثم فارق الحياةَ، وبعد أن غُسِّل وصُلِّي عليه، ذهب رجلُ الأمن إلى بيتِ أهل هذا الشابِّ ليُخبرهم الخبَر أن هذا الشابَّ نطق بالشَّهادة قبل أن يموتَ، فلمَّا أخبرهم فرِح أهل هذا الشَّاب، ثم قالوا له: ونحن نُبشِّرك أنه تاب قبل أسبوعين من الحادث، قال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ} [النساء: 17، 18].

* مات وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر:

كان هناك سائقٌ للإسعاف وكان جريئًا، وسبب ذلك ناتج عن طبيعة عمله، ومباشرته للحوادث، ورؤيته للأشلاء المبعثرة، والأعضاء المُقطَّعة، وكان لا يُصلِّي، وإذا وُعِظ لا يتَّعِظ، وفي يوم من الأيام، جاءت إشارة في الساعة الواحدة ليلاً إلى وقوع حادثة عند مدخل الرياض، فذهب إلى الحادث، قال: وعندما وصلتُ إذا بي أجد سيارة قد ارتطمت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في أحد أعمدة الإنارة، وأدَّت إلى انطفاء الكهرباء في المنطقة، والغريب أني رأيتُ نُورًا يَنبعث من السيارة، فانطلقت متوجهًا إلى باب السَّيَّارة، وكان في يدي "سيجارة"، فإذا بي أرى عجبًا، فإذا برجل كثيف اللحية، مُستنير الوجه، قد ملأ نور وجهه السيارة، قال: فحاولت إخراجه من السيارة، فقال لي: تريد أن تساعدني؟ قلت: نعم، قال: إذا سمحت أطفئ السيجارة، فأطفأتها، وعندما أردت إنقاذه، قال: تريد أن تنقذني، قلت: نعم، قال: إني أريد أن أكافئك على فعلك هذا بنصيحة، فقلت: تفضل، فقال لي: فعليك بطاعة الله - سبحانه وتعالى - وطاعة الوالدين، وإياك ورفقة السُّوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم مات، فحملْتُه إلى المستشفى، وسلَّمْته إلى قسم الحوادث، ثم عُدت إلى البيت قُرابة الثالثة ليلاً، فأردتُ أن أنام فلم أستطع، فلقد ظللتُ أفكِّر فيما قال لي، وإذا بالمؤذِّن يُؤذِّن لصلاة الفجر، فتوضَّأتُ ثم انطلقت لأُصلِّي الفجر، وكانت أول مرة أدخل فيها المسجد، فكان موته سببًا لحياة قلبي؛ فالحمد لله رب العالمين.

* مات وهو يَصِلُ رَحِمَه، ومَن خُتِمَ له بعمل صالح دخل الجنَّة:

يقول أحدُ العاملين في الإسعاف: "كان هناك شخص في مُقتبل العمر، متدين، يبدو ذلك من مظهره، يسير بسيارته سيرًا عاديًّا، وتعطلت سيارته في أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة، ترجَّل من سيارته لإصلاح الخلل في إحدى العجلات، جاءت سيارة مسرعة وارتطمت به من الخلف، سقط مصابًا إصابات بالغة.

حملناه معنا في السيارة، وتوجَّهنا به إلى المستشفى، فسمعناه يُهَمْهِم، فلم نُميِّز ما يقول، فلما سرنا به تعجبنا أنه يقرأ القرآن، بل يقرأ بصوت نديٍّ شجيٍّ، يقرأ وقد تكسَّرت عظامه، وغطَّت الدماء ثيابه وهو على مشارف الموت، واستمر يقرأ بصوت جميل، ويُرتِّل آيات الذكر الحكيم، وفجأة سكت، التفتُّ إلى الخلف، فإذا به رافع إصبَع السَّبَّابة، ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ثم فارق الحياة، قفزت إلى الخلف، لمست يده وقلبه، وتحسَّستُ أنفاسه، لا شيء، فارق الحياة، نظرتُ إليه طويلاً، سقطت دمعة من عيني، أخبرتُ زميلي أنه قد مات، انطلق زميلي في البكاء، أما أنا فقد شهقت شهقة، وأصبحت دموعي لا تقف، حتى وصلنا إلى المستشفى، وأخبرت كلَّ مَن قابلتُه عن قصته، الكثير تأثَّروا، وذرفت عيونهم، أحدهم بعدما سمع قصته ذهب وقبَّل جبينه، والجميع أصروا على الجلوس حتى يصلَّى عليه.

اتصل أحد الموظفين بمنزل المُتوفَّى، فردَّ أخو المُتوفَّى، والذي قال عن أخيه بعدما هدأت عَبَرتُه: إن أخي كان يذهب كل اثنين لزيارة جدتي الوحيدة في القرية، وكان يتفقَّد الأرامل واليتامى والمساكين، وكانت تلك القرية تعرفه، فهو يُحضر لهم الكتب والأشرطة، وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر؛ لتوزيعها على المحتاجين، حتى حلوى الأطفال كان لا ينساها.

وكان يرد على مَن يُثنيه عن السَّفر ويذكر له طول الطَّريق، وكان يرد عليه بقوله: "إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته، وسماع الأشرطة النافعة، وإني أحتسب على الله كل خطوة أخطوها" فرحمة الله عليه؛ (اهـ بتصرف محاضرة للشيخ إبراهيم الدويش بعنوان "المحرومون").

وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يختم لنا بخاتمة السعادة، وأن يرزقنا الجنَّةَ وزيادة.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد..

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة، نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع بها مؤلِّفَها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا، وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان، فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بَراء، وهذا بشأن أيِّ عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَم خطأ فاستغفر لي:

إِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلاَ = جَلَّ مَنْ لاَ عَيْبَ فِيهِ وَعَلاَ

فاللَّهم اجعل عَملي كلَّه صالحًا، ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE